1- حيٌ على قيد الوفاة

فاطمة رزق

(م)

العاشر من يناير 2017

تقبضُ يدها بقوةٍ على السور الحديدي، وقدمها قد وجدت موضعها على عتبةٍ صغيرةٍ خارج تلك الشُرفةِ الواسعة.. يمتزجُ الهواءُ مع شعرها، ولونُ السماء تتداخل مع لون ثيابها.. فقط حركةٌ واحدةٌ تفصلها عن مُفارقة تلك الحياة.

نحنُ الآن نتحدثُ عن فتاةٍ تُحاول الانتحار أعلى ناطحة السحاب تلك، فقط لترى وجهها وتُدرك ابتسامتها التي تواجهُ بها كل تلك الوجوه المرتعبةِ أمامها، وتُردفُ في سكونِ الريح:

- لا تقلق أخي.. سأُثبتُ لكم فقط أنّي لا أموت. سأُثبتُ لكل من هو هنا الآن أنّي خالدة.

لحظةٌ واحدةٌ فحسب فصلتها عن تحريرها ليديها، لتطفو في الجو لحظاتٍ حتى تَضمها الأرضُ بجاذبيتها الحميمة بكل ما لديها من قوةً.

***

"قناة (SCS)..

من أعلى مبنى (..) ألقت الكاتبةُ المشهورة (دانا إليكسندر لاهوترا) - والمَعروفةُ بلقب (العُصفورة)- نفسها مُتعمدةً تنوي الانتحار.. أثبت

الطبيب المُشرفُ على حالتها أنَّها لم تكن المرةَ الأولى، بل حاولت الانتحار مراتٍ كثيرةٍ لتُثبتَ لهم أنَّها خالدة! وأن شيئًا لا يقدر أبدًا على إبادتها.."

***

"قناة (BOC)..

وهذا ما يُثبتُ أنَّها حادثةُ انتحارٍ تمت على أساس مرضٍ نفسي، وقد أكَّدت مُدبرةُ المنزل أن الكاتبة (دانا) لم تكن تتصرفُ بشكلٍ طبيعيٍ أبدًا في الأيَّام الخالية.. وهذا بالتحديد حدث بعد الحادثة التي تعرَّضت لها العصفورة.. كما وأن هُناك العديد من المشتبه بهم؛ هم من جعلوها تُقدم على ذلك تحت الكثير من الضغط النفسي عليها.. سنوافيكم بآخر الأخبار.. "

***

"قناة (YGM)..

هذا البثُّ مُباشرةً من أمام المبنى الذي لقيت فيه الكاتبة (دانا) حتفها. نستطيعُ رؤيةَ دماءها المُتناثرةِ في هذه المنطقة، ويقولُ شهودٌ عيان أن جسدها قد تفتت كُليًا بعد تلك الحادثة.. وبالاستناد لفحوصات الطب الشرعي فقد تبيَّن أن رأسها، وذراعيها، وساقها الأيمن قد انفصلوا عن جسدها من قوة سقوطها.. كما وأن التحقيق في تلك القضية سارٍ حتى الآن.. "

(و)

العاشر من ديسمبر 2016

دانا..

كان ذلك الشُرطي يُحدقُ بي مُستفسرًا، وأمام عينه حاسوبه الصغير، وكنتُ أشعرُ حينها بأنَّ روح الثأر عندي على أشُدها..

- باشري الحديث.

كان ذاك ما سمعتُه منه وأنا أستحضرُ ذاكرتي، فقلتُ:

- سأُخبرك سيدي، منذ أشهرٍ وأنا أُلاحظُ أن زوجي يخونني، عندما أعود من العمل أسمعه يُخافتُ امرأةً عبر هاتفه، أرى الفراش غير مُرتبٍ أبدًا، وأشتم رائحة عِطرٍ أُنثويٍ، أحيانًا أجد النافذة مفتوحةً، أرى زوجي عاري الصدر وقد غزا التوتر، والعرق وجهه. سألته كثيرًا أن يُصارحني، لكنه لم يفعل. مضت الأيام بنفس الطريقة، وفي أحدها قررتُ أنّي لن أذهب لعملي هذا اليوم، وسوف أُراقبه. خرجَ زوجي من المنزل يومها، وذهب إلى أحد المنازل، وكنتُ أعرفُ أنَّه منزلها، لكني لم أقل شيئًا، قررتُ أن أضبطهُ متلبسًا حتى أُصارحه بالحقيقة، ويُجاهرني إيَّاها، ولكن قبل أسبوعين يا سيدي رأيتُه في حلمي يقول لامرأةٍ جميلةٍ أنَّه سيقتلني، ويرثُ ثروتي ليستمتعا بها، ثم يتزوجان بعدها. في هذا اليوم استيقظتُ لأجد زوجي يحمل سلاحه وينظر له بعنايةٍ شديدة.. انتفضتُ بذعرٍ، وسألته:

- من الذي تُخطط لقتله؟

ابتسم لي ابتسامةً مرعبةً جدًا، وضحك ساخرًا وهو يقول:

- أنتِ بالطبع.

انتظرتُه حتى خرج من الغُرفة ليدخل الحمام، وأسرعتُ بحمل أغراضي المهمة داخل حقيبةٍ صغيرة، وقررتُ الهرب بعيدًا.. ولكني

سمعتُ وطأ أقدامه قبل أن أخرج، ثم رأيتُه يحمل سلاحه ويقول لي بحقد:

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟

ثم أطلق النار عليَّ يا سيدي، وقتلني.

رأيته ينظر لي بجديةٍ، ويقول:

- لكنَّ جسدكِ لم يكن به أيُّ رصاصات!

- اسمعني من فضلك يا سيدي، لقد قتلني وأطلق النار على رأسي، ولكنه أخرج الرَصاصة قبل أن يضعني في المشفى ليقول أنَّني اصطدمتُ بالطاولة وأنا أسقط، ويُحول القضية لحادثٍ عَرضي.

***

جانج ديفور لي..

سمعتُ الشرطي يقول بينما أنا أشعرُ بالصدمة تجتاحُ كياني من كل شيء:

- زوجتك تتهمك بأنَّك حاولت قتلها، كيف حدث هذا؟

فأَجبتُه بهدوء:

- يا سيدي أرجوك، هذه المرأة مجنونة! تقول أنّي أصبتها بسلاحي رغم أنَّ..

- يمكنك الرد على أسئلتي فقط، الطبيب هو الذي يُحدد أمجنونةٌ هي أم لا.

- حسنًا، مُنذ عدة أشهرٍ وهي تَشكُّ بي، أن رأت النافذة مفتوحة تقول إن المرأة التي كانت معي هربت من النافذة! أن رأتني عاري الصدر ظنت أني خنتها.. والأدهى أنَّها تتوهم أُمورًا عجيبة، كصوتي مثلًا أقول لها شيئًا،

وهذا لم يحدث، كرائحة عطري التي تتحول لرائحةٍ أُنثويةٍ في أنفها! وقبل أُسبوعين استيقظتْ وأنا أمسحُ مسدسي الذي تلوث من دماءِ آخر مجرمٍ قبضتُ عليه، فظنَّت أنّي أُحاول قتلها، سألتني حينها أُخطط لقتل من؟ فمازحتُها بأنَّها هي، ولم أكن أعتقد أبدًا أن تظن ذلك فيَّ. حين خرجتُ من الحمام هذا اليوم وجدتُها قد حزمت حقيبتها، فسألتها:

- أين أنتِ ذاهبة؟

وحين استدارت لتراني اتسعت عينيها لثوانٍ قبل أن تسقط مغشيًا عليها، فتصطدم بالطرف الحاد من الطاولة وتنزف رأسها. أسرعتُ بها إلى المشفى فأخبرني الطبيب أن حالتها خطرة، ولذلك ظلت في الغيبوبة لمدة أسبوعين كاملان.

***

دانا..

سألني الشُرطيُّ فجأةً وهو ينظرُ لي مُستنكرًا:

- ماذا تقصدين بأنكِ كنتِ ميتة؟

أجبتُ بهدوءٍ وأنا لا أدري إلى متى سيعتقدُ الناسُ أنّي مجنونة!

- يا سيدي، لقد متُّ بالفعل لمدة أسبوعين كاملين، رأيتُ فيهما العالم الآخر، ورأيتُ الكثير من الأُمور، ورأيتُ زوجي يخونني مُجددًا.. ثم استفقتُ من الموت بعدها وأدركتُ أمرًا هامًا.. أنا خالدةٌ لا أموت. وأدركتُ أيضًا أن عليَّ الانتقام مِمَّن أراد لي الموت، وحاول قتلي..

***

جانح..

سألَ الشُرطيُّ وهو يضربُ بخفةٍ على سطح المكتب أمامهُ:

- هل تقصدُ أنَّها حاولت قتلك بعد تلك الأوهام التي طاردتها؟

استجمعتُ أفكاري عن تلك المجنونة، وكابوس الأيَّام الخوالي، وأجبتُ:

- أجل، في الحقيقة لقد حاولت قتلي بعدها، مرةً باستخدام السكين، والأُخرى مُحاولة شنقي بالحبال. لكني أفلتُّ منها فقد كانت أضعف من أن تقتلني، ثم حجزتُها في المصحة بعد موافقة أخيها الأكبر باعتباره من تبقى من أهلها.

رأيتُ الضابط ينظرُ لي بدهشةٍ ويقول:

- اشرح لي كيف قامت بذلك؟

- استيقظتُ يومها فوجدتُ نفسي مُكبلًا على المقعد الخشبي في غُرفتي، شعرتُ بها تلفُ الحبل حول رقبتي، ولكن لحسن حظي أنَّها لم تربط حبل يدي جيدًا، فاستطعتُ أن أحله وأبعدتُها عني. لقد كنتُ خائفًا في تلك الأيام، كانت تضعُ دائمًا منومًا لي في الطعام حتى تقتلني، لذلك لم أجد بُدًا من حجزها.

***

دانا..

- ولكنكِ حاولتِ قتلهُ مرَّتين، وهذا يضعكِ في دائرة الاتهام.

- هذا لأنَّ أحدًا لا يُصدقني أبدًا مهما قلتُ، فقررتُ أخذ حقي بيدي. الجميعُ يعتقدُ أنني مجنونة.. تبًا للجميع، أنا أُدرك جيدًا أنَّي لستُ كذلك، وأن المُجرم الحقيقي هو (جانج ديفورلي).. فسوف يفعل ذلك بنفسه ليأخذ ميراثي، ويتزوج من عشيقته التي كان يواعدها في الأشهر الخالية.

***

راميش..

- مُنذ متى وأنتِ تُعالجينها؟

- منذ ما يقربُ من ثلاثة أشهرٍ يا سيدي، اكتشفتُ أن لديها بعض أعراض الفصام كمرضٍ رئيسي يندرجُ أسفلهُ عددٌ من الأمراض الأُخرى كالقلق، والهلوسة، ولكن الحالة تطورت بعد ذلك لتشمل وهم كوتار.

سألني الشرطي بحيرة:

- لم أفهم!

- سأُخبرك سيدي؛ هذا المرض يأتي لمريضٍ لديه استعدادٌ كبيرٌ بأن يُصاب به، وهذه الحالة كان لديها الكثيرُ من الأمراض النفسية، وكذلك الذُهان والذي أهلها للوصول لتلك المرحل من هذا الوهم -كوتار- وهنا يعتقدُ المَريضُ نفسه ميتًا، ويتصرَّف على ذلك النحو، إذ يُهيئ لهُ عقله كل الاستعدادات لذلك. وفي حالاتٍ أخرى مثل حالة "دانا" يعتقدُ المريضُ أنَّه قد مات من قبل، ثم عاد للحياةِ من جديد، وهذا ما يجعلهُ يعتقدُ أن كل المرَّات التي سوف يموتُ فيها سيعود مُجددًا للحياةِ بعدها، وهو ما يجعلهُ يعتقدُ نفسه خالدًا لا يموت. ولأن هذا الاعتقاد يُواجهُ دائمًا بالسخرية فالمريضُ غالبًا ما يسعى لتأكيد ظنه هذا.

***

دانا..

- ولماذا إذًا أقدمتِ على مُحاولة الانتحار ثلاث مرَّاتٍ من قبل.

- سيدي، لقد اختلط عليكَ الأمر.. المرء الذي ينتحر هو الذي يموت، أمَّا أنا فلا أموتُ أبدًا، ومن هنا يجب أن يعلم الجميع أن هذا ليس انتحارًا، بل هو فقط مجرَّد بُرهانٍ لكم لأُثبت أنّي لا أموت.

راميش..

- إذا اعتقد الشخصُ أنَّه لن يموت مهما فعل فعلى الأرجح لن يُصدقه أحد، ولذلك يقوم المريضُ بمحاولة الانتحار فقط ليُثبت صدق نظريته. ولكن (دانا) في مرحلةٍ مُتقدمة، وقد رسخ هذا الاعتقادُ لديها بقوةٍ كبيرة، وأنا واثقةٌ أن المَطافَ بها سينتهي وقد أصبحت جُثةً هامدةً.

(خ)

"حين أدركتُ أني خالدةٌ لم أكن سعيدة، أدركتُ يومها أنّي سأُعاصر هكذا الكثير من الأزمنة، سأتألم كثيرًا، وأبكي طويلًا، وأرى كل من حولي يفقدون حياتهم أمامي، وأنا ما زلتُ على متنها، تساءلتُ لحظتها.. ما فائدة ينبوع الشباب؟ وما الجميل في أن تطول بنا الحياة! أن كنتُ هُنا أم لم أكن هُناك؛ فأنا بقلمي سأُخلِّد ذكراي أبد الآبدين، ولكن جسدي الآن مُرهقٌ قد هدَّه التعب، وآواهُ، وقلبي يشتاقُ لمن سكنهُ التُراب ووارهُ.."

«العُصفورة»..